القمة العربية الـ 21: جمود في المصالحات العربية يكسره اختراق سعودي - ليبي

• الأسد يتفرد برفض «مبادرة السلام» ويطالب بجعل «المقاومة» فوق الخلافات
• أمير قطر: نحتاج إلى مراجعة وليس تراجعاً... والعرب في بؤرة العاصفة

بعد المفاجأة التي أثارها الرئيس السوداني بحضوره إلى الدوحة رغم مذكرة التوقيف بحقه، فجر الزعيم الليبي معمر القذافي مفاجأة من العيار الثقيل بدعوته العاهل السعودي الملك عبدالله بن عبدالعزيز إلى المصالحة خلال افتتاح القمة العربية الـ 21، في الدوحة أمس.

وكانت المصالحة السعودية - الليبية الثمرة الوحيدة للقمة، التي أريد لها أن تكون قمة المصالحات، إذ عكست بعض الكلمات أجواء توتر، خصوصا كلمة الرئيس السوري التي لم تخل من العودة إلى بعض محطات الخلافات العربية في الفترة السابقة، بينما عكست كلمة الرئيس المصري المقاطع توجها مصريا ثابتا لعدم تمرير أي مصالحة شكلية من دون تعهدات واضحة.

وبدا أمس، أن قضية الرئيس السوداني ستكون إحدى نقاط الالتقاء بين الزعماء العرب، وإن رصد بعض المراقبين لهجات فاترة حيال كم ونوع الدعم الذي سيبديه إعلان الدوحة للبشير، على الرغم من أن قرار القمة عن السودان سيؤكد رفض العرب إجراءات المحكمة الجنائية الدولية مع دعوة الخرطوم إلى محاكمة مرتكبي جرائم دارفور.

صورة جماعية للقادة العرب خلال قمة الدوحة أمس (اي بي ايه)

الدوحة - الجريدة.

ننـاقش المحكمة الجنائية في حججها الواهية بعد أن يجلبوا من ارتكب المجازر في فلسطين ولبنان والعراق

انعقدت القمة العربية الـ 21 في الدوحة أمس، بحضور الملوك والامراء والقادة العرب، وطغى على الكلمات التي القاها القادة، موضوع المصالحة العربية والأزمة السودانية ومصير عملية السلام مع إسرائيل، بينما خطفت المصالحة السعودية-الليبية كل الأضواء، وعوضت عن غياب الرئيس المصري حسني مبارك، وتخطت بعض الكلمات التي لم تخل من ملامح «خلافية».

وإلى جانب اللقاءات الجانبية، التي جمعت عدداً من القادة العرب، كان اللقاء الذي عقد بين العاهل السعودي عبدالله بن عبدالعزيز والزعيم الليبي معمر القذافي، والذي وضع حداً لقطيعة دامت ست سنوات، بحضور أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، هو الأبرز، خصوصاً بعد الطريقة التي اخرج بها القذافي مصالحته خلال افتتاح القمة، إذ تهجم على الملك السعودي، ما حبس الأنفاس بشأن مواجهة تفجر القمة قبل أن تتضح الصورة.

ومن اللقاءات الثنائية التي عقدت أمس لقاء الرئيس السوري بشار الاسد مع نظيريه الفلسطيني محمود عباس والسوداني عمر البشير، وافادت مصادر بأن كواليس القمة شهدت حراكا في محاولة لجمع العاهل السعودي برئيس الحكومة العراقية نوري المالكي.

الأسد

وافتتح الرئيس السوري بشار الأسد القمة بصفته رئيس القمة السابقة، التي عقدت في دمشق، بكلمة اعتبر فيها أن «السلام لن يتحقق مع عدو لا يؤمن بالسلام دون ان يفرض عليه بالمقاومة»، مؤكدا أن «رغبتنا في السلام هي الدافع الى دعم المقاومة، ودعمها واجب وطني وقومي واخلاقي، وهو خيارنا الوحيد في غياب الخيارات الاخرى».

ودعا الرئيس السوري الى «جعل المقاومة فوق خلافاتنا الظرفية كقضية نتوحد حولها وكمبدأ نؤمن به طالما وجد احتلال او اغتصب حق».

وعن مبادرة السلام العربية، قال الأسد: «منذ اطلاق مبادرة السلام العربية (في 2002)، ليس لدينا شريك حقيقي في عملية السلام»، واعتبر أن المبادرة «غير فاعلة ولو عملنا على تفعيلها، وذلك لعدم اكتمال شروط تفعيلها، لان إسرائيل لا تقبل بمبادرة تستند الى مرجعيات تعيد الحقوق لاصحابها».

ودافع الرئيس السوري عن طرح تعليق مبادرة السلام خلال الاجتماع التشاوري، الذي عقد في الدوحة بحضور الرئيس الايراني خلال الحرب الاسرائيلية على غزة، وقال إن ذلك «جاء ردا طبيعيا على استهتار إسرائيل بالسلام الذي بلغ ذروته في العدوان على غزة»، واعتبر أن تعليقها «يعني بقاءها مطروحة ولكن بصورة شرطية (...) عندما تتوافر هذه الشروط يمكن تفعيلها والعمل بمضمونها».

ودعا الأسد القادة العرب الى اتخاذ موقف «جريء» و«رفض مذكرة التوقيف» بحق الرئيس السوداني عمر البشير «من اساسها»، ورأى أن صدور هذه المذكرة «تحت عناوين مزيفة ليس سوى مرحلة من مراحل تقسيم السودان بهدف اضعافه، والاستيلاء على ثرواته وتقاسمها بين مجموعة من الدول تسعى الى تكرار تجربة الانتداب»، داعيا الى «الدعم المطلق للسودان في هذه المرحلة من المواجهة لتجنيبه وتجنيب دولنا المراحل التالية التي ستليها حتماً وصولا الى تفتيتها».

هناك مشاريع وطنية ودول قومية وتجمّعات دول تنشأ تدعو مواطنينا إلى التساؤل أين هو المشروع العربي؟

وقال الأسد: «أما حججهم الواهية في ارتكابات ملفقة ارتكبها السودان فنناقشهم بها بعد أن يقوموا بجلب من ارتكب الفظائع والمجازر في فلسطين ولبنان والعراق إلى المحكمة مدانين بنفس التهم، لكن غير الملفقة، بل مثبتة بالوثائق وبالوقائع».

وعن المصالحة العربية، أشار الأسد الى أن الحوار هو المدخل لأي تضامن عربي، مضيفا «اننا في بداية الطريق الصحيح»، وأكد أنه حتى «هذه اللحظة لا تزال علاقاتنا تخضع لنا كأشخاص لطبائعنا وامزجتنا، وبالتالي فهي معرضة لاحتمال سوء الفهم والتقدير وللانتكاسة في كل مرة تواجهنا مشكلة ذات حساسية ما»، واشار الى أن «الاختلاف طبيعي ولكن المشكلة الحقيقية تكمن في طريقة تعاطينا معه وفي طريقة إدارتنا للخلاف، والذي لا يمكن ان نديره بشكل سليم ما لم نبدأ من توحيد رؤيتنا للتضامن الذي نريد»، مضيفاً «ان التضامن العربي لا يعني التطابق العربي بل يعني التكامل العربي، والتطابق في المواقف يحتاج إلى ظروف متطابقة تنتج رؤية واحدة، وهذا غير موجود لأسباب موضوعية».

وطرح الأسد، في كلمته «بعض النقاط العملية المستخلصة من التجارب العربية خلال السنوات الماضية»، والتي رأى أنها «كفيلة بتجنب الكثير من المطبات في علاقاتنا العربية»، وقال: «النقطة الأولى تتعلق بضرورة طرح أي مبادرة من قبل أي دولة عربية قبل انعقاد القمة بفترة زمنية محددة»، وأضاف أن النقطة الثانية هي «عدم طرح مبادرات تتعلق بقضايا محددة تخص دولا معينة دون موافقة تلك الدول الاساسية المعنية مباشرة بتلك القضايا»، والنقطة الثالثة تتعلق بالمبادرات التي تطرح وتتعلق بالقضايا الخلافية التي تنشأ بين دولتين او بين أطراف في دولة واحدة، فرأى ان «تبني او دعم مؤسسة الجامعة على مستوى القمة او مستوى وزراء الخارجية لها، أي لهذه المبادرة، يجب ان يكون مبنياً على قبول كافة الأطراف المعنية بالمبادرة لها».

أمير قطر

من جهته، دعا أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، رئيس القمة العربية في دورتها الحادية والعشرين، الدول العربية الى التوصل الى آلية لإدارة الخلافات، معتبراً أن الأزمة المالية العالمية خلقت أزمة ثقة تفرض على العرب إعادة مراجعة سياسات ومناهج وأساليب.

ورحب بمبادرة العاهل السعودي الملك عبدالله بن عبدالعزيز «للمصالحة العربية وتجاوز الخلافات»، واعتبره يمثل العرب والدول النامية في قمة العشرين في لندن.

ولفت الى أن الأزمة العالمية كشفت «هشاشة خطيرة أصابت النظم التي كان العالم (العربي) يعتمد عليها في ضبط أوضاعه والحفاظ على توازنه»، معتبراً أن «آثار الأزمة في الثقة أصابت العالم العربي أكثر من غيره فهو بموقعه وموارده، وهو بقضاياه ومشاكله، وهو بالسابق واللاحق من أحواله، موجود في مهب الرياح وفي بؤرة العاصفة»، مضيفاً أن «الظاهر أمامنا أن ما قبلناه لأزمنة طويلة أمورا مسلما بها يحتاج إلى مراجعة، وأن سياسات اعتمدناها وسعينا لها تحتاج إلى مراجعة، وأن مناهج وأساليب اعتدناها تحتاج إلى مراجعة أيضاً، وبمسؤولية كاملة فإننا نقول إننا نحتاج إلى مراجعة وليس تراجعاً».

هناك سياسات خارجية عانينا كثيراً تدخلاتها ولكن هناك أيضاً أسباباً نابعة من مجتمعاتنا سياساتنا وممارساتنا

واعتبر أن العرب اليوم أمام معضلة تتمثل في اهتزاز النظام المالي العالمي، معتبراً أن الأزمة العالمية تحتاج إلى «درس أعمق وإلى رصد أدق للأسباب وإلى مراجعة واسعة النطاق وشاملة، وهذه مراجعة لا بد للعرب أن يشاركوا فيها مع العالم».

وأشار الى تغيرات في مواقع القوة ومراكز التأثير في العالم، مضيفاً أن مشاريع وطنية ودولا قومية وتجمعات دول تنشأ و«تدعو مواطنينا الى التساؤل أين هو المشروع العربي؟».

موسى

بدوره، اعرب الأمين العام لجامعة الدول العربية عمرو موسى عن تمنياته بأن تكون «القمة فاتحة صلح ووئام، ومنطق تضامن وتفاهم وسلام، وأن يتجذر في إطارها توافق عربي في مواجهة تطورات دولية وإقليمية لا تخفى حساسيتها ومزالقها ومخاطرها».

واشار موسى الى ان القمة تعقد «في أحد المفاصل الدقيقة التي يمر بها العالم العربي والمنطقة على اتساعها، إذ لم تعد التحديات تقتصر على مشاكل سياسية أو أمنية فقط، وإنما أصبحت مشاكل المال والاقتصاد، وتأثير الأزمة العالمية المتعلقة بهما تدق بشدة على أبواب الجميع».

وأضاف أنه قد «آن الأوان لأن نوقف أو أن تتوقف الأصابع الأجنبية عن عبثها غير المسؤول في الفضاء العربي، وتجاهلها للمصالح والقضايا العربية المشروعة»، وحذر من «سياسات خارجية عانى العرب كثيراً من تدخلاتها»، لكنه حذر بشدة من «الأسباب النابعة من مجتمعاتنا، ومن سياساتنا وممارساتنا، والتي تعتبر هي الأخرى من أسباب تراجع إسهامنا في المسيرة العالمية المعاصرة».

القذافي يهاجم العاهل السعودي

خطف الزعيم الليبي معمر القذافي الأضواء مرة جديدة في القمة العربية، عندما توجه الى العاهل السعودي برسالة مزج فيها التهجم وطلب المصالحة. والقذافي الذي غالبا ما شغل صحافيي القمم العربية بخطواته وتصريحاته المثيرة للجدل، قاطع أمير قطر بعيد القائه كلمته الافتتاحية، ليتوجه الى الملك عبدالله بن عبدالعزيز مؤكدا انتهاء الاشكال بينهما، وانما بعد توجيه انتقادات لاذعة إليه.

ودعا القذافي الملك عبدالله الى تبادل الزيارات بينهما بعد سنوات من الخصومة. وقال القذافي مقاطعاً أمير قطر: «الى أخي عبدالله، 6 سنوات وانت هارب وخائف من المواجهة». وأضاف متوجها الى العاهل السعودي: «اريد أن اطمئنك بألا تخاف، وأقول لك بعد ست سنوات ثبت انك انت الذي الكذب وراءك والقبر امامك، وانت هو الذي صنعتك بريطانيا وحمتك اميركا». وتابع «احتراما للامة، اعتبر المشكل الشخصي الذي بيني وبينك قد انتهى وانا مستعد لزيارتك وتزورني انت».

وخلص القذافي إلى القول «انا قائد أممي وعميد الحكام العرب وملك ملوك افريقيا وإمام المسلمين. مكانتي العالمية لا تسمح لي ان انزل لأي مستوى آخر. وشكرا». وغادر القذافي بعد ذلك القاعة. وأفادت مصادر دبلوماسية بأن العاهل السعودي غادر القاعة ايضا بعد انسحاب القذافي، الا انه عاد مجدداً بعد تدخل من جانب امير قطر.

القذافي والعاهل السعودي خلال الجلسة الافتتاحية للقمة العربية في الدوحة أمس (أ ب، اي بي اي)

... ثم يتصالح

بعد مهاجمة القذافي للعاهل السعودي، ثم دعوته الى المصالحة، أعلن المنسق العام للعلاقات المصرية - الليبية أحمد قذاف الدم أن «سوء التفاهم مع السعودية قد انتهى»، مشيرا في تصريح في الدوحة، الى ان «صفحة الخلافات بين الزعيم الليبي والعاهل السعودي قد طويت».

وقال قذاف الدم ان أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني عقد قمة ثلاثية على مأدبة غداء تصالحية في مقر إقامته، «تم خلالها الحديث عن المستقبل ومواجهة الدول العربية للأخطار المحيطة بها». وأضاف: «الزعيم الليبي يرى أن الأمة تتعرض لخطر داهم يستهدف الجميع، وعلينا أن نتفرغ لمواجهة العدو الذي يستهدفنا جميعا».

بدوره، قال وزير الدولة السعودي عبدالعزيز بن فهد إن «المصالحة كانت طيبة»، مشيرا إلى أن «مبادرة القذافي كانت في محلها»، ومضيفا أن «خادم الحرمين الشريفين بذل جهودا كبيرة من أجل تحقيق المصالحة العربية».